

## الماضرة الأولى

### تشكل الخطاب النحوي وتحليله للدكتور خالد نعيم

إن دراسة الخطاب على أساس النمط الخطابي وما يستدعيه من مقارنة تُعنى بدراسته ووصفه في إطار أطروحة الخاص للخاص أو الأطروحة التي عمّمت خصائص خطاب معين على خطابات تتسم بخصائص متباينة، التي تعرف "أطروحة الخاص للعام"، جعلت منا أن ننعم النظر والبحث عن نظرية تهتم بخصائص الخطاب النحوي وتحليله، وهذا الأمر يتطلب إعادة قراءة التراث اللغوي العربي وربط الصلة بينه وبين امتداداته اللسانية الحديثة.

الخطاب النحوي خطابٌ وصفيٌ تابعٌ لبنية خطابية نموذجية موحدة وثابتة من حيث الآلية التي اشتغل عليها القدماء ، وخطابٌ علميٌ من حيث الموضوع الذي تشكل فيه، بوصفه خطاباً تعليمياً، وفي هذه الحال ترصد نظرية الخطاب العامة هذه، قدرة مستعمل اللغة على إنتاج وتأويل الخطاب باعتبار أن هذه القدرة الخطابية جزءٌ من القدرة اللغوية العامة.

ومن الثابت أن الخطاب النحوي قائم على شبكة من الوحدات اللغوية الطبقية "منطوق - مفردة (اللفظ) - عبارة - جملة -" - تسهم في وصفه للغة الاستعمال، وهو مبنيٌ على التعامل الافتراضي كونه مجموعة من المبادلات الحاصلة بين ذوات الخطاب، إذ يشكل سلسلة من تلك المبادلات التوجيهية والإخبارية.

وعودة إلى تفسير الوحدات اللغوية الطبقية نجد أن بعضها قد تجاوز الحد الذي اختطه بعض من قال في وصفها، فالعبارة نصٌ يفسر ما كان غامضاً مبهماً من القول ، أو كلامٌ قد سبق لبيان حجة ما، ونحن في هذا الوصف يتسع مفهوم العبارة التي يراها بعضنا مرادفاً أو مساوياً للجملة، وفي الأعم الأغلب يكون مجاوزاً لها. والجملة أصل التركيب لأنها نتاج صناعة لفظية أي جمع للألفاظ وتحصيلها بصورة يحسن القول فيها والسكوت عنها، وهي أصل للعبارة ، والقول هو المنطوق "الكلام" قل أو كثر، فالعبارة قولٌ والجملة قولٌ والمفردة "اللفظ" قولٌ، ولا بد أن نشير هنا إلى أن القول يكون مقصوداً وغير مقصود، وسنبين ذلك بعد النظر في مفهوم الخطاب في الدرس اللساني الغربي والعربي.

لا شك أن وجود وحدة لسانية أكبر تتجاوز الوحدات اللغوية الطبقية من حيث مكوناتها اللغوية التي تشكلت منها، تستدعي النظر في بواعثها والأصل الذي انبثقت عنه، لذلك قيل إن ملامح تشكل الخطاب تعود إلى أصلين متناقضين هما البنيوية والنحوي التوليدي، ومن هنا مهد دي

سوسير الى استغلال النص الادبي بوصفه نظاماً لغوياً خاصاً، وهو في هذه الحال افصح عن أولى ملامح تشكل الخطاب بمفهوم النص الأدبي.

والقارئ لمفهوم الخطاب وتحديد ماهيته يجد مضامينه في ثنائية دي سوسير " اللغة والكلام"، والكلام عنده حدث فردي متصل بالأداء أو بالقدرة الذاتية للمتكلم، وهذه السمة الرئيسية من سمات الخطاب.

اما الاصل الاخر فكان النظر الى ما يتولد من علاقة بين العناصر اللغوية المكونة للبنية نتيجة حركتها داخل لغة الاستعمال، ومن هنا تشكلت فرضية تسعى الى تسويخ الخطاب " باعتباره وحدة لسانية استناداً الى إمكان تنميط الخطابات، والى ما اتفق على تسميته بنحو النص أو نحو الخطاب، ويرتبط مشروع نحو الخطاب ارتباطاً مباشراً بفرضية وجود وحدة أعلى من الجملة، وهي الخطاب الذي يكون شأنه في ذلك شأن الجملة، له تركيب خاص به، ويفترض نحو الخطاب على غرار ما يفترضه التركيب في اللسانيات التوليدية وجود قواعد إعادة الكتابة، ويميز بين القدرة الخطابية والانجاز الخطابي على غرار التمييز الذي اقامه شومسكي بين القدرة والانجاز

إن وصفهم للخطاب بأنه وحدة لسانية تتجاوز الجملة قائم على معيار الكم أي عدد العناصر التي يتشكل منها الخطاب و الجملة، لكن مفهوم الجملة اجده على غير ما قاله النحويون واللسانيون، فالجملة الالفاظ يحددها المتكلم ويتشكل منها الكلام، الذي يعبر عنه ب القول وهو الحديث أي الاخبار فأنك تأتي بالفاظ لم يكن لها موقع مثل الذي قيلت فيه، والتواصل بين طرفيه يكون احدهما متكلماً والاخر مستمعاً، وفي هذه الحال عندما نُؤشر على تناوب طرفي الخطاب نلحظ مفهوم العبارة في إرادة التوجيه أي حينما يتبادل المتحاوران مواقعهما الخطابية " مخاطب و مخاطب"، أي القول " الكلام" الموجه من المخاطب الى المخاطب والعكس.

ويرى هرمان أن الخطاب يقع خارج الثنائيات التقليدية في النظرية اللسانية ك: ثنائية اللغة والكلام أو القدرة والانجاز أو النسق والاعمال، وعليه لم يقدم اللسانيون البنيويون " دي سوسير و يلمسلف و جومسكي" مفهوماً اجرائياً للخطاب وفي السياق نفسه قيل أن دي سوسير قد لاحظ أثناء مناقشته وتحليله منزلة المركب قال " يوجد هاهنا في الواقع شيء ما عويص يتعلق بالحد الفاصل بين مجالات اللغة والكلام، فالحد الفاصل بين اللغة والكلام هو درجة التأليف وهو بذلك جعل من الخطاب حداً ثالثاً وظيفته نقض الثنائيات.

واذا ما عدنا الى ما نقله هرمان وغيره من قبل، أن الكلام فردي ولا يمكن ضبطه، وأن تحدد له قواعد، لذلك أبعد عن الدراسة، نقول إن الكلام ليس فردياً بوصفه قولاً تشارك فيه ذوات كثيرة تكون مسؤولة عن الافراض الكلامية التي يحملها هذا القول الذي تمثلت فيه ذاتية المتكلم

والذوات المصاحبة لها في فعل التلفظ وكل واحدة منها تقوم بوظيفة خطابية مخصصة و أن حقيقته (( لا تقوم في مجرد النطق بالألفاظ مرتبة على مقتضى مدلولات محددة... وإنما حقيقته كامنة في كونه يبني على تصدين اثنين : احدهما يتعلق بـ " التوجه الى الغير" ، والثاني بـ "إفهام هذا الغير" ))

والخطاب عند فوكو هو الميدان العام لمجموع من المنطوقات وهو في ذلك إحالة الى السياق العام، أو مجموعة مميزة من المنطوقات، وهذا يقودنا الى النظر بطبيعة الملفوظ وخصائصه اللغوية، أو هو ممارسة لها قواعد تدل دلالة الوصف على عدد من المنطوقات وتشير اليها، وهذا يعني ثمة ضوابط ممسكة بهذا السيل من المنطوقات، أي أن الخطاب يستجيب مثله مثل الجملة لقواعد صحة التأليف، ومثلما توجد قدرة لغوية مرتبطة بالإلام بالتركيب توجد قدرة خطابية متصلة بالإلام بنحو الخطاب وفي حد آخر للخطاب يقول: " مجموعة من المنطوقات بوصفها تنتمي الى ذات التشكيلة الخطابية، فهو ليس وحدة بلاغية أو صورية قابلة لأن تتكرر الى ما لا نهاية، يمكن الوقوف على ظهورها واستعمالها خلال التاريخ... بل هو عبارة عن عدد محصور من المنطوقات التي تستطيع تحيد شروط وجودها"

ويرى أن روبل وجاك موشلار أن الخطاب متوالية غير اعتباطية من الملفوظات وتفسير ذلك عندهما " أن المتكلم الذي ينتج ملفوظا، يقوم بحكم الواقع، بفعل تواصلي إشاري – استدلاي وأن هذا الفعل التواصلي الإشاري – الاستدلاي يفترض تصدين: هما قصد اخباري وقصد تواصلي. يستلزم القصد التواصلي مبدأ الملازمة. وهذا القصدان يتعلقان بالملفوظ. وبشكل أدق، يسعى المخاطب الذي يؤول ملفوظا معطى على اساس القصد التواصلي للمتكلم ومبدأ الملازمة الذي يترتب عليه – القصد التواصلي- الى تحصيل القصد الاخباري للمتكلم" ويرى جيوفري ليتش و مايكل شورت الخطاب " تواصلاً لغوياً ينظر اليه باعتباره عملية تجري بين متكلم ومستمع أو تفاعلاً شخصياً يحدد شكله غرضه الاجتماعي وهذا ما ذهب اليه دومنيك مانقينو الذي يرى أن الخطاب يقع ضمن التداوليات اللسانية لكونه يعنى بالعملية التواصلية وبالعلامة التي تجمع بين طرفي الخطاب ( المخاطب و المخاطب )

يعرف بنفيسست الخطاب (( بأنه قول يفترض متكلماً ومخاطباً، ويتضمن رغبة الأول بالتأثير في الثاني بشكل من الأشكال)) ، والخطاب عنده من منظور الوعي بالذات هو ما يتوجه به شخص الى شخص آخر معبراً عن نفسه بضمير المتكلم فهو تجربة تسهم فيها أطراف متعددة عن طريق التفاعل من اجل تحديد الأدوار" المؤلف الخطاب القارئ"، والاخير يسعى الى تحليل الخطاب من

اجل الوصول الى اقصى حد ممكن من المقروئية وقوفا على البنى التي اسهمت في هذا الانتاج  
الفكري التواصلي

والخطاب في المفهوم اللساني المعاصر يراد به القول ، أو الوحدة اللسانية التي تتجاوز الجملة  
التي تدرسها اللسانية انطلاقاً من قواعد تسلسل الجمل والمتاليات.  
وللخطاب خصائص ومعايير أو سمات خطابية ومعرفية تميزه عن غيره كـ الجملة والعبارة  
والنص، لكونه يخضع من خلال وحداته اللغوية للقواعد التنظيمية المعمول بها داخل مجتمع  
محدد، زيادة على ذلك أنه يتسم بالتوجيه لأنه موجهاً ، وهذا الامر لا يعني أن الخطاب قد شكّل  
تبعاً لوجهة نظر المتكلم وانما شاركت به ذوات كثيرة، وهذا ما يجعله يتطور بشكل خطي في الزمان  
والتوجيه من المقاصد الخطابية والمعرفية، إذ يرى طه عبد الرحمن (( أن المنطوق به لا يكون كلاماً  
حقاً حتى تحصل من الناطق إرادة توجيهيه الى غيره، وما لم تحصل منه هذه الإرادة ، فلا يمكن أن  
يُعد متكلماً حقاً حتى ولو صادف ما نطق به حضوراً من يتلقفه، لأن المتلقف لا يكون مستمعاً حقاً  
حتى يكون قد ألقى إليه بما تلقف مقصوداً بمضمونه هو أو مقصوداً به غيره بوصفه واسطة فيه ))  
أما إرادة إفهام الغير فما تتحصل من المخاطب ، ولا يكون المنطوق به كلاماً حتى تحصل من  
المخاطب إرادة إفهام الغير، والامر في هذا المقصد منوط بالمخاطب لأنه لا يكون مستمعاً حتى يكون  
قد أفهم ما فهم.

ومن هنا يدرك القارئ أن الخطاب قائم على علاقات تقابلية بين طرفين، لكن يقال أن هذه العلاقة  
بين الذوات المنتجة للخطاب قد يسعى احد طرفيها الى جلب اعتقاد او دفع انتقاد ، ولذلك يقول  
طه عبد الرحمن (( لا يكون الخطاب حقاً، حتى يحصل من الناطق صريح الاعتقاد لما يقول من نفسه  
وتمام الاستعداد لإقامة الدليل عليه عند الضرورة، ذلك لأن الخلو عن الاعتقاد يجعل الناطق ، اما  
ناقلاً لقول غيره، فلا يلزمه اعتقاده، وإما كاذباً في قوله ، فيكون عابثاً باعتقاد غيره، ولأن الخلو عن  
الاستعداد للتدليل، يجعل الناطق، اما متحكماً بقوله، فلا يتوسل الا بسُلطان وإما مؤمناً بقول  
غيره، فلا يحتاج الى برهان)) وهذا ما يعرف بقصد الادعاء ، اما قصد الاعتراض فيقوم على حق  
المخاطب في مطالبة الناطق (المخاطب) بالدليل على ما يدعيه، لأن ترفع المخاطب عن هذا الحق  
يجعله دائم التسليم بما يدعه المخاطب، وفي هذه الحال لا تجد سبيلاً لتمحيص دعاويه، أو المشاركة  
في مدار الكلام ونلاحظ في هذين القصدين فاعلية المخاطب وفي هذا المعنى ننقل قول ابن القيم  
الجوزية : (( لما كان المخاطب مشاركاً للمتكلم في حال معنى الكلام إذ الكلام مبدأ من المتكلم  
ومنتهاه عند المخاطب ولولا المخاطب ما كان كلام المتكلم لفظاً مسموعاً ولا احتاج إلى التعبير عنه

ومن مقاصد الخطاب التفاعلية و الفعل والتأثير، ففعل الكلام هو شكل من أشكال التأثير، اما التفاعلية فهي نشاط لفظي بين طرفي الخطاب ، والخطاب بمقاصده الخطابية والمعرفية محكوم بسياق ، فلاوجود للخطاب الا داخل سياق معين.

### سمات الخطاب النحوي

يتسم الخطاب النحوي القديم بـ

- ١- التنظيم المنهجي وطرائق وصف لغة الاستعمال، زيادة على ذلك الاهتمام بالتفسير والتأويل والاستدلال.
- ٢- ويفتقر الخطاب النحوي الى ردود الافعال .
- ٣- يفتقر الى تناوب الادوار على وجه الحقيقية، لذلك يلجئ النحوي الى الانتزاع الذاتي ليبقي على تلك المبادلات التي تسهم في تفسير المقولات اللغوية.
- ٤- تغيب في الخطاب النحوي المكتوب وعلى مستواه العلائقي ما يعرف بالنقطة، التي تفسر على انها مداخلة احد المشاركين وعلى انها مجموعة افعال خطابية.

### عناصر الخطاب النحوي

١= المخاطب ( المتكلم ) هو فاعل يطلب الخطاب وجوده، وهو المتكلم "ينظر المؤلف :٢٤" وهو المسؤول عن فكرة الخطاب أي كانت، فهو من يخطط وينشئ أو يؤلف أو يكتب، وهو في هذه الحال تكون له سلطة التأثير على المخاطبين. ومن سمات المخاطب الآتي:

- ١- المخاطب شخص موثوق ومطاع في حقله اللغوي
- ٢- المخاطب ذات منظمة للخطاب وموجهة له
- ٣- له سلطة تفسيرية خاصة لا يمتلكها الا هو ومن هو بدرجة من اللغويين والنحويين.
- ٤- يمتلك سلطته التأويلية والتحليلية في الخطاب.
- ٥- يتسم المخاطب بالوعي والادراك لما يقول ويكتب.
- ٦- المخاطب اللغوي ( النحوي) شخص موثوق به .
- ٧- قدرته على اسكات الاصوات جميعا ولا يصرح بمن شاركه من الذوات.
- ٨- تعدد صورته في الخطاب الواحد .

٩- **المخاطب اللغوي ( النحوي) يشهد وبشكل مباشر على نسبة الخطاب المكتوب الى الاسم الذي يشير اليه.**

**صور المخاطب:**

أ- **المتكلم – المرسل – المؤلف – المخبر- الملقى- المنشئ : وهو من يقدم الى المخاطب مادة لغوية ، وهو في هذه الحال يعتمد كفايته اللغوية التي تكون كفيلة بالقيام بتركيب الرسالة اللغوية تركيباً سليماً، فضلا عن اعتماد الكفاية التخاطبية التي تتمثل باستعمال المقولات اللغوية بشكل مناسب ولتختلف السياقات." ينظر المعنى وظلال المعنى:١٥٣"**

ب- **الجماعة الخطابية : يراد بها الزمر الاجتماعية التي تنتج وتيسر نوعاً معيناً من الخطابات ، وهذا ما يطلق على جماعة من المتلفظين للخطاب نفسه لا سيما الخطاب التعليمي ( ينظر مانغونو، مصطلحات مفاتيح تحليل الخطاب:٢١)، وفيل أن هذا المصطلح يطلق على المتلفظين بالخطاب نفسه لا سيما الخطاب العلمي(ينظر مانغونو، مصطلحات مفاتيح تحليل الخطاب:٢٢)**

**يتبع في الحاضرة القادمة**

